جزيرة العملاق

محمود سالم

جزيرة العملاق

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

جزيرة العملاق

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٢٦٨٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
كيف تنتهي الحفلة؟	١١
صوت من السماء	١٥
الميِّت الحي!	١٩
العملاق القصير	٢٣
الصاروخ المجهول	٢٧
الأحداث تتلاحق	٣١
في البحر والظلام	٣٥
قلعة العملاق	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

كيف تنتهي الحفلة؟

أوقف «أحمد» سيارته بمحاذاة السُّورِ الخشبيِّ الذي يُطِلُّ على الحرس، حيث اعتاد أن يُوقِف زَوْرقه السريع بمدينة نابولي، ثم أخذ مُعِدَّات الصيد، وكذلك أدوات الغطس، وغادر السيَّارة إلى زَوْرقه.

كان الزَّوْرق من نوع جديد ... شديد السرعة، مزوَّد بموتورين يعملان أحيانًا في وقت واحد، وأحيانًا أخرى يعمل كل واحد منهما منفردًا، حسب الحاجة ... وضع «أحمد» معدَّاته في المخزن الخاص، وبدأ عمليَّة تنظيف الزَّوْرق الذي لم يكن قد استعمله منذ فترة طويلة.

كان «أحمد» مدعوًّا في ذلك اليوم إلى حفل سيُقيمه أحد الأصدقاء على يخت ضخم بعيدًا عن الشاطئ، وكان لا بُدَّ لـ «أحمد» أن يستقلَّ طائرةً من النوع الذي يهبط على سطح الماء ... ولكن «أحمد» فضَّلَ استخدام زَوْرقه السريع الذي أعدَّه بمواصفات خاصَّة وبرسم معيَّن في ترسانة الإنشاءات بالمقرِّ السرِّي، وقد أحبَّ «أحمد» الزَّورق من أول نظرة؛ فقد حقَّقَ به حُلْمًا من أحلامه.

انتهى «أحمد» من عملية التنظيف السريعة، وبدأ رحلته إلى مكان الاحتفال على اليخت «شهريار»، على بُعد حوالي ٢٠ مِيلًا من شاطئ مدينة نابولي.

صاحب الحفل هو «سيف الدين»، أحد الشباب العربي، والذي يمُتُّ بصلة قرابة لـ «قيس»، ومن هنا جاءت صداقته للشياطين، الذين كانوا مدعوِّين جميعًا إلى الحفل ... ولكن نظرًا لبعض المهامِّ العاجلة؛ فقد اعتذر البعض، أمَّا «قيس» و«بو عمير» و«إلهام» و«زبيدة» و«عثمان» فقد كان موعدهم هناك في العاشرة صباحًا ... ولكنَّهم فضَّلوا أن يذهبوا إلى المكان على الطائرة الهليوكبتر الصغيرة ... أمَّا «أحمد» فقد فضَّل الذهاب على زَوْرقه الصغير؛ حتى يتوقَّف بعض الوقت ليمارس هوايته المفضَّلة، وهي صيد السمك ...

ولكنَّ الحظ لم يُحالِف «أحمد» كثيرًا، في المرَّات التي توقَّف فيها لم يتمكَّن من أن يصيد ولو سمكةً واحدةً ... ولكنَّ الحظَّ تغيَّر في المرَّة الأخيرة، واستطاع بمهارته أن يصيد سمكة قرش صغيرة، يبلُغ طولها حوالي متر تقريبًا، واستطاع أن يَحقنَها بمادَّة مُخدِّرة، ووضعها في أحد الخزَّانات المُلحَقة بزورقه لتظلَّ حيَّةً، وفكَّر أن تكون هذه أحسن هديَّة يُعطيها لـ «سيف» في الاحتفال، وخاصَّةً أنَّ «سيف» يملك مجموعةً نادرةً من أسماك الزينة.

بعد حوالي ساعة ونصف من خروج «أحمد» من نابولي، بدأت بقعةٌ بيضاء في الظهور على بُعد، وكانت هي اليخت «شهريار»؛ حيث يُقام الاحتفال ...

كان اليخت «شهريار» مفروشًا من الداخل على النِّظام العربي، وهو مزوَّدٌ بـ ٢٠ كابينة للنوم، وقاعة احتفالات كبيرة ... أمَّا السطح فكان مُجهَّزًا بحمَّام للسباحة، ومكان يسمح بهبوط طائرة هليوكبتر ...

اقترب «أحمد» من اليخت، وأوقف زَورقه بجانبه ... وصَعِدَ على السُّلَّم المُعلَّق بجانب اليخت، ثم طلب من أحد بحَّارة اليخت أن يأتيَه بالصندوق الموجود على الزَّورق.

كان «سيف» في انتظار «أحمد» ... وحيَّاه بحرارة، وسأله عن بقيَّة الأصدقاء، وأبلغه «أحمد» بأنَّهم سوف يَلحقون به على طائرتهم. ثم انضمَّ إلى الحفل، وأخذ «سيف» يُعرِّفُه على بقيَّة المدعوِّين ... كان الأغلبيَّة من الشباب العربي والبعض من الأجانب.

بعد دقائق، جاء البحَّار وهو يحمل الصندوق، وسلَّمَه لـ «أحمد» الذي أعطاه بدوره إلى «سيف»، وكم كانت دهشته حينما فتحه ووجد بداخله تلك الهديَّة العجيبة ... أسرع «سيف» إلى أحد الأحواض الزجاجيَّة المُعدَّة لسمك الزينة، ووضع فيها سمكة القرش الصغيرة، وتجمَّع المدعوُّون يشاهدونها بإعجاب ... وخاصَّةً بعد أن بدأ يزول مفعول الحقنة المُخدِّرة، وبدأت السمكة تتحرَّك بسرعة وتخبط جدران الحوض الزجاجيَّة بعنف.

شكر «سيف» «أحمد» على هديته الجميلة ... واستمرَّ الحفل مرَّةً أخرى، وذهب «أحمد» وأحضر لنفسه كوبًا من الليمون المُثلج، ووقف على أحد جوانب اليخت يشاهد البحر، وينتظر بقيَّة الشياطين ...

بعد دقائق، أعلن «سيف» عن أُولَى مفاجآت الحفل، وهي إحدى فرق الألعاب البهلوانيَّة الجوِّيَّة ... وبعد لحظة بدأت تظهر طائرات الفرقة عن بُعد، وهي خمس طائرات شراعيَّة ... أربعة لونها أزرق، والأخيرة ذات لون أحمر، وبدأت الطائرات تقترب من اليخت على ارتفاع مُنخفض.

وبعد ذلك ارتفعت الطائرات فجأةً مُطلِقةً سَحاباتٍ كثيفةً من الدُّخان الملوَّن، ثم انقسم الفريق إلى ثلاثة أقسام، وقام الفريق المكوَّن من طائرتين بالتَّحليق على ارتفاع

عالٍ جدًّا، حتى كادتا أن تختفيا عن الأنظار … بعد ذلك بدأت الطائرات بالهبوط بسرعة رهيبة في اتجاه اليخت، حتى تخيَّل بعض المدعوِّين أنَّ الطيَّارين قد فقدوا السيطرة على طائراتهم … ولكن على ارتفاع قريب جدًّا، انفصلت الطائرتان عن الفرقة، وعاودتا الارتفاع مرَّةً أخرى في حركة طيران بارعة انتزعت تصفيق المدعوِّين وأولهم «أحمد»، على الرغم من إلمامه الكامل بالطيران وقدرته على القيام بحركات انتحاريَّة تَفُوقُ هذه الحركات.

وبعد ذلك عادت الطائرتان مرَّةً أخرى، ولكن على ارتفاع منخفض، ثم ألقَتا بصندوقين، كلٌّ منهما مزوَّد بمظلَّة صغيرة، وقعا على سطح اليخت، وكان يحمل كلُّ صندوق منهما بعض الهدايا، وأسرع المدعوُّون إليها.

ثم بدأت الطائرتان الأخريان في الاستعداد للقيام بدورهما في الألعاب، وعند ذلك لاحظ «أحمد» أنَّ رجلين من المدعوِّين يتوجَّهان إلى جانب اليخت، ثم يركبان زَورقين من الزَّوارق التي تقف بجانب اليخت «شهريار»، وأخذ الزَّورق يبتعد في طريقه إلى الشاطئ.

لفت نظر «أحمد» ذلك المشهد، على الرَّغم من أنَّه يبدو عادِيًّا للجميع … ولكنَّ إحساسًا ما جعل «أحمد» يُتابع الزَّورقين وهما يبتعدان بسرعة …

لم ينتبه أحدٌ من المدعوِّين أو حتى «سيف» نفسه — صاحب الحفل — لما حدث؛ فقد كان الجميع مشدودًا يُتابع الفريق الثاني وهو يختتم حركاته البهلوانيَّة بالاقتراب من اليخت، وقد قذف صندوقًا كبيرًا بمظلَّة، أخذ يهبط ببطء حتى ارتطم بسطح اليخت … وينفتح الصندوق … وتظهر بداخله كعكةٌ كبيرة. دُهش المدعوُّون لهذا المشهد، وصفَّقوا له … وبقِيتْ طائرة واحدة — ذات اللون الأحمر — تُحلِّق على بُعد في انتظار دورها في الألعاب بعد ذلك.

بدأت الطائرتان في الابتعاد، حيث جاء موعد الطائرة الأخيرة التي بدأت حركاتها بالتحليق السريع إلى أعلى، ثم الهبوط بحركة دائرية سريعة لفتت الأنظار، حتى اقتربت من سطح اليخت … ولكنَّها اعتدلت بمهارة فائقة لتُكمل سيرها بمحاذاة سطح البحر، وبعد ذلك اعتدلت الطائرة مرَّةً أخرى في اتجاه اليخت، وألقت بصندوقَين صغيرَين بدون مظلَّة ارتطما بسطح اليخت، ولم ينفتحا … أسرَع المدعوُّون إلى الصندوقَين بسرعةٍ للاحتفاظ بالهدايا الموجودة في الصندوقَين، ولكن بعد لحظةٍ واحدةٍ انفجر الصندوقان انفجارًا مُدوِّيًا، حوَّلَ اليخت «شهريار» في لحظةٍ إلى كتلة من النيران، وانقلب الحفل المُمتِع إلى مأساة من الجحيم …

صوت من السماء

بعد دقائق، أفاق «أحمد» من حالة الإغماء البسيطة التي أصابته من أثر الانفجار الذي حدث، وكان من حُسن حظِّ «أحمد» أنَّه كان بعيدًا عن مكان الصندوقين اللذين لم يكونا بالطَّبع سوى قُنبلتين زمنيَّتَين ... ووجد «أحمد» نفسه طافِيًا على سطح البحر، بعد أن انتفخ لباسُ البحرِ الخاصُّ الذي يلبسه، وأصبح يُشبه العوَّامة ...

كان جسم «أحمد» يؤلمه في أماكن مُتفرِّقة، ولاحظ وجود بعض الجروح على يديه، وبعض الدماء تنزِفُ من فوق حاجبه الأيسر ... وبدأ «أحمد» في السباحة في اتجاه الشاطئ ... وكانت عمليَّة مُجهِدة للغاية أن يقوم بالسباحة لمسافة عشرين مِيلًا وهو في هذه الحالة السيئة.

ولكنَّه شاهدَ على البُعد الشيءَ الوحيد الذي كان يتمنَّاه ... زَورقه العزيز، وإن كان قد انقلب على ظهره من أثر الانفجار. أسرع «أحمد» بالسباحة تجاه الزَّورق محاولًا اللحاق به قبل أن يجرِفَه التيَّار في اتجاه آخر، وبعد محاولات صعبة ضدَّ الأمواج، نجح في الوصول إليه، وقام بقلبه على الناحية الأخرى، وألقى بنفسه على ظهره وقد اشتدَّت الآلام في جسمه، وخاصَّةً ذراعه اليمنى التي لم يكن يستطيع أن يُحرِّكها بسهولة.

بعد دقائق، اعتدل «أحمد» في جلسته، ونظر حوله؛ علَّه يجد أيَّ واحد من المدعوِّين لا يزال حيًّا ليحاول إنقاذه ... كان المنظر مُؤلِمًا للغاية، فمنذ دقائق كانت تنطلق من هذا المكان ضحكات فرح وسعادة ... وها هو هادئٌ وصامتٌ صمتَ الموت!

كانت النيران تشتعل في بقايا اليخت، بعد أن غرِقَ معظمُه، وجثث المدعوِّين تتناثر على سطح الماء.

ولكن على البعد، لاحظ «أحمد» كتلةً خشبيَّةً قد تشبَّث بها ثلاثة رجال جرحى، ولكنَّه كان يبدو عليهم أنهم لا يزالون أحياء ...

أسرع «أحمد» لإدارة المُحرِّكَين ... ولكن أحدهما كان قد توقَّف تمامًا ... بينما كان الثاني قد أصابه بعض التَّلَف ... وفضَّلَ «أحمد» أن يعتمد على المجاديف؛ حتى لا يُضيِّع دقيقةً واحدةً قد تكون فَيصلًا في حياة أحد هؤلاء الجرحى الثلاثة!

أخرج «أحمد» مِجدافَين من داخل الزَّورق، وبدأ في عملية التجديف، وكم كانت مؤلمةً؛ خاصَّةً وأنَّ ذراعه اليمنى كانت شبه مُتيبِّسة ... وبعد حوالي عشر دقائق، أصبح زَورق «أحمد» على بعد حوالي ٢٥ مترًا من الرِّجال الثلاثة.

وفي نفس اللحظة، سمع «أحمد» مُحرِّكًا على بُعد ... لم يستطع «أحمد» أن يُميِّز إذا كان هذا الصوت هو صوت قارب قادم، أم صوت طائرة ... ولكنَّ الدقائق جاءت بالإجابة السريعة، لقد كانت هذه هي الطائرة الحمراء التي ألقت بالمُتفجِّرات منذ دقائق، وحوَّلت الحفل إلى هذا الدَّمار الرهيب!

أوقف «أحمد» التجديف، وأخذ يتابع الطائرة بنَظَرِه، وقد بدأت في عمل دائرة واسعة، وكان قائدها يتأكَّد من أنَّه ليس هناك أحدٌ من الأحياء، ولحُسن الحظِّ لم يقترب من موقع «أحمد».

وبعد ذلك بدأت الطائرة في الابتعاد قليلًا، ثم حلَّقَت على ارتفاع منخفض من سطح البحر، وألقت بصندوق معدِنيٍّ متوسِّط الحجم، سرعان ما غاص في قاع البحر، ثم عاودت التحليق مرَّةً أخرى إلى مكان الانفجار.

وبعد الدورة الأولى، سمع «أحمد» أحد الرجال الثلاثة، وقد بدأ يُفيق من غيبوبته، وبدأ صراخه يعلو تدريجيًّا طلبًا للنَّجدة، وزاد صراخه عندما شاهد الطائرة، وعلى عكس ما توقَّع الرجل، فقد اقتربت الطائرة منه، وفجأةً بدأت في إطلاق وابل من الرَّصاص في اتِّجاه الرجال الثلاثة.

لم يتمالك «أحمد» نفسه، فأسرع إلى دُرج صغير وفتحه، أخرج منه مُسدَّسًا ضخمًا وعلبةً صغيرةً بها عِدَّةُ طلقات ... وقبل أن تبدأ الطائرة مُناوَرَتَها الثانية في اتِّجاه الرجال، كان «أحمد» قد أكمل حشو مُسدَّسِه واستعدَّ للقاء الطائرة التي كانت قد اقتربت جدًّا من الرجال الثلاثة، وكذلك من «أحمد»، بعد أن لاحظ قائد الطائرة الزَّورق الصغير.

اقتربت الطائرة وهي على مستوًى منخفضٍ جدًّا، ومن مسافة قريبة بدأت تُطلق مدفعها الرشَّاش تجاه «أحمد»، الذي بدأ في إطلاق مُسدَّسِه تجاه الطائرة، ولكنَّه لم يتمكَّن من إصابتها في المرَّة الأولى؛ لأنَّ قائد الطائرة لاحظ أنَّ «أحمد» مُسلَّح، وفضَّلَ أن يُطلق مدفعه على بُعد، وأن يبدأ أوَّلًا بالرجال الثلاثة الذين بدأ الرعب يرتَسِم على وجوههم، وخاصَّةً بعد

إصابة أحدهم بطلقة من مدفع الطائرة؛ جعلته يرتمي بعيدًا عن اللوحِ الخشبيِّ الذي كان مُعلقًا به، ويغوص إلى قاع البحر، مُخلِّفًا بقعةً من اللون الأحمر على سطح الماء.

بدأت الرِّياح تشتدُّ قليلًا، وكذلك بدأ التيَّار يسحب «أحمد» بعيدًا عن مكان الرجلين الباقيين على قيد الحياة، ممَّا جعل مهمَّة قائد الطائرة أسهل في إصابتهما، وهو آمنٌ من نيران «أحمد» المُحكَمة.

وفعلًا، بعد لحظات لم يكن لهما أيُّ أثر على سطح الماء، ولم يتبقَّ من مهمَّة الرجل سوى «أحمد»، الذي بدأ ينزف بغزارة من جرح لم يكتشفه إلَّا حينما أحسَّ بدمائه الدافئة تنساب بهدوء على ظهره.

وعلى الرغم من ذلك، اعتدل «أحمد» في جلستِه، وأعاد حشو المُسدَّس مرَّةً أخرى، وأمسكه بكلتا يديه، في حين كانت الطائرة تعتدل في طيرانها، وتُوجِّهُ مُقدِّمتها تجاه «أحمد»، وتبدأ في مُناورة حادَّة على مستوًى منخفضٍ من سطح البحر، تسبقها نيران مدفعها الرشَّاش، الذي كان يُطلَق في اتجاهات مُتفرِّقة بدون إحكام، وفعلًا أصاب أحد مُحرِّكات الزَّورق، وجزءًا من الدفَّة في المرَّة الأولى.

وفي المرَّة الثانية، استجمع «أحمد» كلَّ قواه الباقية، وأمسك بمُسدَّسِه، وأحكم التصويب؛ فقد بدأ يشعر أنه يفقد وعيه تدريجيًّا ... ويذهب في حالة من الإغماء البطيء. وبدأ يُطلق طلقات في اتجاه مقدِّمة الطائرة، استطاع «أحمد» من صوتها أن يعرف أنَّه نجح في إصابة إحدى مراوح الطائرة، التي بدأت تهتزُّ في طيرانها، وتفقد كلَّ توازُنِها في الجو.

في هذه اللحظة أسرع «أحمد» بحشو مُسدَّسه مرَّةً أخرى، وصوَّبه تجاه جانب الطائرة، وبدأ في إطلاق طلقاته السريعة، وفعلًا بدأ خيط رفيع من الدُّخان ينبعث من الجانب الأيسر للطائرة الحمراء؛ يؤكِّدُ أن «أحمد» أصاب خزَّان الوقود، وبدأ الوقود يتسرَّب منه بسرعة كبيرة.

ابتسم «أحمد» رغم كلِّ ما فيه من الألم، إلَّا أنَّه شعر أنَّه أمام تحدٍّ حقيقيٍّ، فإمَّا أن يستسلم للموت، أو يهزم الموتَ نفسه!

أمَّا قائد الطائرة، فقد شعر أنَّه قد خسر الرِّهان ... ولكن بقِيَتْ في يده ورقة واحدة، قرَّرَ أن يلعبها مهما كلَّفَته تلك الورقة ... فقد قرَّرَ أن يصعد بالطائرة على ارتفاع كبير عمودي على الزَّورق الذي فيه «أحمد»، ويدع الطائرة تسقط على الزَّورق وبه «أحمد».

وفعلًا، بدأ قائد الطائرة في تنفيذ الخطوة الأولى في الخطَّة، وصَعِدَ بالطائرة على ارتفاع كبير، ثم قفز من الطائرة بمظلَّة، وبدأت الطائرة تهبط في حركة دائريَّة بسرعة جنونيَّة تجاه القارب.

أخذ «أحمد» يحاول الابتعاد عن نقطة سقوط الطائرة، ولكنَّ ذراعه المكسورة وقوَّة التيَّار قد حالا دون ذلك، وبدأت المسافة بين الطائرة و«أحمد» تضيق تدريجيًّا.

الميِّت الحي!

لم يَعُدْ أمام «أحمد» إلَّا أن يبتعد عن القارب ويغطس؛ حتى لا يكونَ في مكان وقوع الطائرة التي بدأت النيران تشتعل فيها بعد أن أصاب «أحمد» خزَّان الوقود بطلقة من مُسدَّسِه، وجمع «أحمد» ما تبقَّى له من قوَّة، وصَعِدَ على حافة الزَّورق ليُلقيَ بنفسه في المياه.

وفجأةً سمع «أحمد» صوت انفجار دوَّى في السماء، فرفع عينيه إلى فوق، وشاهد الطائرة وقد تحوَّلت إلى مجموعة متناثرة من الشظايا الصغيرة المُشتعلة تتساقط حوله!

لم يستطع «أحمد» أن يُفسِّرَ ما حدث إلَّا بعد لحظات ... فقد شاهد الطائرة الهليوكبتر الصغيرة التي يقودها «بو عمير»، الذي أطلق صاروخ جو-جو على الطائرة المشتعلة، فحوَّلها إلى أشلاء صغيرة، وليُنقذَ «أحمد» في آخر لحظة!

لم يُصدِّق «أحمد» ما حدث، فألقى بنفسه على ظهر القارب، ولوَّحَ للشياطين الذين بدءوا يهبطون بطائرتهم بالقرب من زَورق «أحمد»، وألقى «عثمان» بحبل في نهايته شبكة، أمسك «أحمد» بها، ثم وضع نفسه فيها، ورفعوه إلى فوق ... أمَّا «إلهام» فبدأت تبحث بالمنظار عن الطيَّار الذي قفز بالمظلَّة، ولكنَّها لم تجده.

ونظرًا لحالة الإعياء الشديدة التي كان عليها «أحمد» بسبب النزيف الذي أصابه ... فقد قرَّرَ «بو عمير» أن ينطلقوا فورًا إلى مقرِّ الشياطين ليقوموا بإسعافه ... وارتفعت الطائرة مرَّةً أخرى بسرعة مُتجهةً إلى مقرِّ الشياطين في مدينة نابولي.

كانت الساعة قد قاربت الخامسة مساءً حينما بدأ «أحمد» في استعادة وعيه مرَّةً أخرى، فوجد نفسه في غرفته وقد رُبطت ذراعه اليمنى رباطًا مُحكَمًا، بالإضافة إلى ضمادات فوق حاجبه الأيسر، أمَّا بقيَّة جسمه فكان يؤلمه في أماكنَ متفرِّقة ...

كان الشياطين حول فراش «أحمد» الذي قصَّ عليهم ما حدث في الحفل، وكيف تحوَّل في لحظات إلى دمار، ولم يبقَ أيُّ أثر لليخت، أو أيُّ شخص ممَّن كانوا عليه.

قال «عثمان»: ما هي الجهة التي من مصلحتها تدمير الحفل؟ ... وهل المقصود هو شخص مُعيَّن كان ضمن المدعوِّين، أو «سيف» نفسه هو الذي كان مقصودًا؟

بو عمير: هناك أكثر من تساؤل حول هذا الموضوع ... ولكن أين اختفى قائد الطائرة؟ لقد بحثْتْ «إلهام» عنه بالمنظار فلم تجده، وأنتم تعلمون أنه لم يكن هناك أيُّ مكان يمكن أن يختفيَ فيه؟

أحمد: لقد نسيتُ أن أذكُرَ لكم شيئين هامَّين ... الأوَّل: قبل الانفجار بقليل، غادر اليخت رجلان في زَوْرق سريع، وبعد أن اختفيا عن الأنظار حدث الانفجار ... الشيء الثاني: أنَّ الطائرة التي ألقت المُتفجِّرات عادت مرَّةً ثانيةً، وألقت بصندوق معدِنيٍّ سرعان ما غاص في عمق البحر ...

إلهام: بالتأكيد، إنَّ رحيل هذين الرجلين في هذا التوقيت العجيب له عَلاقة بكلِّ ما حدث!

عثمان: خاصَّةً أنَّ «أحمد» قال إنَّهما رحَلَا دون أن يتحدَّثا إلى أيِّ شخص، أو حتى صاحب الحفل نفسه.

ووجَّه «أحمد» حديثه إلى «قيس» قائلًا: إنَّنا آسفون لما حدث لقريبك «سيف»، ولكن هل هناك وسيلة للحصول على قائمة المدعوِّين؟

قيس: أعتقد أنَّه يمكن الحصول على قائمة بأسماء المدعوِّين من سكرتير «سيف».

أحمد: ألم تنشر الجرائد أيَّ شيء عن الحادث حتى الآن؟

إلهام: حتى هذه اللحظة لا ... ولكنَّ «زبيدة» أرسلت إلى رقم «صفر» تُخبره بما حدث.

وهنا دخلت «زبيدة» مسرعةً إلى حجرة «أحمد»، وأسرعت إلى جهاز التليفزيون، وفتحته وهي تقول: وكالات الأنباء تُذيع أخبار حادث الانفجار ...

وفعلًا كان المذيع على أحد زوارق الإنقاذ في وسط البحر، وهناك العديد من الزَّوارق الأخرى تُجري البحث عن ضحايا الحادث.

قال المذيع: في الحادية عشرة من صباح اليوم، وقع حادث مُروِّع راح ضحيَّته أكثر من ٣٠ شخصًا بين غريق ومفقود؛ فقد وقع انفجار عنيف في يخت يملكه شابٌّ عربيٌّ يُدعى «سيف الدين» كان يُقيم حفلًا عليه، وفي الأغلب أنه لم يبقَ أيُّ شخص على قيد الحياة ... فقد استقبلت إحدى السُّفُن اليونانيَّة إشارة استغاثة من اليخت «شهريار» الذي وقع عليه الحادث صباح اليوم، ولكن حينما توجَّهت سفينة الشحن اليونانيَّة إلى مكان الاستغاثة، لم

يكن قد تبقَّى من اليخت أيُّ أثر لأيِّ مخلوق ... ولم يُستدلَّ على أيِّ شخص لا يزال على قيد الحياة، وقد دخلت عمليَّات البحث في ساعتها الثانية، ولم تنجح فِرَقُ الإنقاذ إلَّا في رفع بعض أنقاض اليخت المنكوب ... وبينما كان المذيع يُتابع إذاعة النَّشرة، وقعت عينا «أحمد» على شيء لفت نظره، وجعله يعتدل في فراشه رغم كل الأربطة والضمادات التي كانت على جسده ... وقال: انظروا إلى ذلك الجبل الصخريِّ الذي على يسار المذيع بعيدًا ...

عثمان: ماذا يعني بالنسبة لك؟

أحمد: أنَّ هذا الجبل لم يكن موجودًا اليوم ساعة الانفجار!

إلهام: ربَّما جرف التيَّار حُطام اليخت بعيدًا عن موقع الانفجار ... ولكنَّني لا أظنُّ أن هذا الجبل ظهر فجأةً في هذا المكان!

أحمد: وأنا لم أقصد ذلك بالطبع؛ فإنَّ هذا الجبل أعرفه جيِّدًا، وكثيرًا ما ذهبتُ عنده لأقوم بصيد نوع من الأسماك لا توجد إلَّا بجانب الصخور ... إنَّ هذا الجبل يبتعد بمسافة لا تقِلُّ عن ٢٠ مِيلًا من مكان وقوع حادث الانفجار، ولا أعتقد أنَّ التيَّار استطاع أن يجرف الحطام كلَّ هذه المسافة في هذا الوقت الضيق!

إلهام: لا أفهم، ماذا تقصد بالضَّبط؟

أحمد: أقصد أنَّ الحُطام قد تغيَّر مكانه؛ بتوضيح أكثر أقصد أنَّ الحُطام قد نُقِلَ بفعل فاعل إلى هذا المكان حتى لا يُكتشف في المكان الأصليِّ الذي انفجر فيه.

نظر الشياطين إلى بعضهم البعض في دهشة من كلام «أحمد»، وهنا ظهر المذيع مرَّةً أخرى يتابع نقل النَّشرة ... بينما سفينة إنقاذ ترفع بعض أجزاء اليخت الغارق.

وبعد قليل، ظهر مذيعٌ آخر ليرويَ نبأً جديدًا ... فقد أعلن أنَّ أحد زوارق الإنقاذ قد تمكَّن من انتشال أحد ضحايا الحادث، وهو لا يزال على قيد الحياة، وإن كان في حالة سيِّئة للغاية.

عثمان: «أحمد»، إذا كان قد تمَّ نقل حُطام اليخت إلى هذا المكان، وكذلك الضحايا، فكيف تمَّ نقلُ هذا الشابِّ الجريح؟

نظر «أحمد» إلى «عثمان» ولم يرُدَّ، وبعد لحظات بدأ القارب في الظهور على بُعد، وهو يقترب من السفينة الرئيسيَّة التي تقوم بعملية الإنقاذ، وأسرع بعض البحَّارة إلى جانب السفينة ومعهم المُعِدَّات الطبِّيَّة اللازمة، وتمَّ رفع الشابِّ الذي كان يبدو فعلًا في حالة سيِّئة للغاية، وقاموا بلَفِّه بالبطاطين لكي يُعيدوا الدِّفء إلى جسمه مرَّةً أخرى، وأسرع الأطِبَّاء.

أما الصحفيُّون فقد التفُّوا حول الشابِّ، الذي بدأت علامات الحياة تدبُّ فيه مرَّةً أخرى ... وبدأت أسئلة الصحفيِّين تنهال عليه، وبدأ الشابُّ يحاول الإجابة على الأسئلة ... بينما

الأطِبَّاء يبذلون جهدهم لعلاجه. وقال بصوت خافت — الشابُّ: كلُّ ما أذكره أن البحَّارة كانوا يَصيحون: حريق في غرفة الآلات! وبدءوا في محاولة إطفائه، ثم تلا ذلك الانفجار الرهيب …

اعتدل «أحمد» صائحًا: هذا الشابُّ يكذب.

العملاق القصير

نظر الشياطين لبعضهم البعض، وأخذ «أحمد» يتابع كلامه في عصبيَّة.

أحمد: إنَّ هذا الرجل لا يقول الحقيقة ... فلم يكن هناك أيُّ حريق على ظهر اليخت ...

بو عمير: أعتقد أنَّه من الأحسن لك أن ترتاح قليلًا، وتُتابع الحديث عن ذلك في صباح الغد.

تمدَّد «أحمد» في فراشه، واستسلم للنوم على الفور ... بينما خرج الشياطين إلى الصالة.

وقال «بو عمير»: سأبعث بتقرير آخر إلى رقم «صفر» ... أمَّا أنتم فالأفضل أن تناموا مُبكِّرين؛ فيبدو أنَّ الغد يحمل الكثير من الأحداث!

وافق الشياطين جميعًا، واتَّجهوا إلى غُرَفِهم، ودخل «بو عمير» غرفة الاتصالات ...

كانت الساعة التاسعة صباحًا حينما خرج «أحمد» من حجرته، وقد تحسَّنَت حالته إلى حدٍّ كبير، وألقى تحيَّة الصباح على الشياطين، وانضمَّ إلى مائدة الإفطار، وبعد دقائق انضمَّ لهم «قيس» وهو يحمل في يده ورقةً، وقال: هذه هي قائمةٌ بأسماء المدعوِّين في حفل «سيف» أمس؛ ٢٥ اسمًا غير أسمائنا ... معظمهم من الشباب العربي، كذلك هذه قائمةٌ بأسماء طاقم اليخت، وهم ثمانية بحَّارة والقبطان، وجميعهم من الإيطاليين، والشيء المُدهِش أن اسم الشابِّ الذي عُثر عليه أمس حيًّا لا يُوجد في القائمتين.

إلهام: ربَّما جاء مع أحد المدعوِّين، ولم يكن مدعوًّا في الأصل!

أحمد: وربما كان غير مدعوٍّ على الإطلاق ... ثم نظر إلى «بو عمير» ... أقصد ربَّما لم يكن على ظهر اليخت مطلقًا!

سكت الشياطين جميعًا، ثم بدأ «قيس» الكلام: وقد أخبرني السكرتير أنَّ هناك أحد المدعوِّين هو الذي اقترح فقرة الاستعراضات الجويَّة، وهو الذي اتَّفق مع شركة الطيران،

ولكنَّ السكرتير لا يعرف اسمه، فقد كانت هذه الفقرة بمثابة هديَّة من هذا المدعوِّ إلى «سيف» في هذا الحفل.

أحمد: إذن فهناك عِدَّة خيوط علينا متابعتها؛ لعلَّها تصل بنا إلى معلومات ... أولًا: أسماء المدعوِّين، وسيتابع «قيس» البحث فيها ... والخيط الثاني: الشابُّ الذي تمَّ إنقاذه، وأقترح أن تكون مهمَّة «إلهام» التوصُّل إليه ومعرفة أيِّ أخبار قد تفيدنا عنه ... والخيط الثالث معرفة المكان الذي اختفى فيه الطيَّار الذي قفز بالمظلَّة، وربما كان «بو عمير» هو أنسب شخص لهذه المهمَّة ... ولا ينسَ بالطبع البحث في مكان سقوط الصندوق المعدِنيِّ الذي أسقطته الطائرة في الماء. أمَّا أنا و«عثمان» فسنكون معًا لمعرفة أيِّ معلومات عن الشخص الذي غادر اليخت قبل الانفجار، فأنا متأكِّد أنَّه إذا توصَّلنا إليه فسنضع أيدِيَنا على شيء هام.

إلهام: ولكن يا «أحمد» أعتقد أنَّ حالتك لا تسمح بأن تخرج وتشترك معنا في البحث ...

أحمد: لا مفرَّ من الخروج يا «إلهام»، خاصَّةً أنَّ الرجلين اللذين غادرا اليخت قبل الانفجار لم يرهما أيُّ شخص غيري. وبالمناسبة، ألم تذكر الصُّحُف أيَّةَ معلومات عن الحادث؟

زبيدة: لم تذكر الصُّحُف أيَّ شيء ممَّا رأيناه أمس في نشرة الأخبار ... ولكن ممَّا يؤكِّد كلامك بخصوص نقل حُطام اليخت من مكانه أنَّهم لم يذكروا أيَّ شيء عن الطائرة التي غرقت ... معنى ذلك أنَّ حُطام اليخت فقط هو الذي نُقل ... أمَّا حُطام الطائرة فقد ظلَّ مكانه أو اختفى نهائيًّا تحت الماء وهو الأرجح.

نظر «أحمد» في ساعته وقال: حسنًا، إنَّ الساعة تقترب من العاشرة؛ فليذهب كلٌّ منَّا لتنفيذ مهمَّته، ولنتقابل في الرابعة مساءً لنتبادل المعلومات.

وقف الشياطين واتَّجهوا إلى غرفهم ليستعدُّوا للقيام بمهامِّهم، وبعد نصف ساعة كانت سيَّارة «بو عمير» تقف في المطار السرِّي الخاصِّ للشياطين، ويستقلُّ طائرة هليوكبتر من نوع خاص، مزوَّدةً بأجهزة حسَّاسة للبحث عن المعادن وعن قاطع الإشعاع، وبعد حوالي ٢٠ دقيقةً من الطيران، كانت الطائرة تُحلِّق فوق النُّقطة التي كانت مرمَى لأحداث الأمس.

كان كلُّ شيء يبدو هادئًا طبيعيًّا ... فدار «بو عمير» دورةً حول المكان، لاحَظَ أنَّ عدَّاد قياس الأشعة بدأ يعمل، وأنَّ مصباح لوحة الطائرة بدأ يُضيء بطريقة متقطِّعة، مؤكِّدًا أنَّ هناك منطقة إشعاعات ذَرِّيَّة ليست بعيدة.

وعلى مدار عشر دقائق استطاع «بو عمير» أن يُحدِّد الدائرة التي ينبعث منها الإشعاعات، وكم كانت دهشة «بو عمير» أنَّ هذه النقطة لا تبعد عن منطقة انفجار

الأمس بأكثر من نصف مِيل فقط ... وقرَّر «بو عمير» أن يهبِط بالطائرة على سطح الماء ليُحدِّد بدقَّة مكان الإشعاع ... وبعد قليل سجَّلت أجهزة الطائرة أنَّ الإشعاع صادرٌ من عمق كبير في البحر يصل إلى ٥٠ مترًا، وسجَّلت الأجهزة أيضًا أصواتًا صادرة من العمق، وكأنَّها أصوات غوَّاصة متوقِّفة، ممَّا جعل «بو عمير» يتأكَّد من أنَّ هناك شيئًا ما يجري تحت سطح هذه البقعة، وأنَّ الطيَّار الذي سقط من الطائرة لا بُدَّ وأنَّ له صلةً بهذا الصوت المكتوم ...

ثم أخذت أجهزة التقوية الخاصة بالأعماق في التقاط بعض الصور على عمق ... وبعد فترة بدأت الأجهزة تلتقط أصوات زَورق سريع قادم على بُعد ... فقرَّر «بو عمير» أن يبتعد بالطائرة؛ لكيلا يلفت الأنظار إليه.

في ذلك الوقت في ميناء نابولي، أوقف «عثمان» السيَّارة، ونزل مع «أحمد» إلى مكان الزَّوارق، وقابلا رجلًا يُدعى «أندريو»، وهو رجل في حوالي الخامسة والخمسين من العمر، ويُعتبر من أقدم عُمَّال هذا الرصيف الذي يستقبل الزَّوارق السريعة في الميناء.

وسأله «أحمد» إذا كان بالأمس شاهد قاربًا يقترب من الشاطئ يحمل رجلين؛ أحدهما بدين ويرتدي بدلةً بيضاء ... ما بين الساعة العاشرة والنصف والحادية عشرة.

فأجاب الرجل بالنَّفي.

وسأله «أحمد» إذا كان مُتأكِّدًا من ذلك، فأجاب الرجل بأنَّه مُتأكِّد تمام التأكُّد؛ لأنَّه في ذلك الوقت بالذات كان يعمل عند مدخل الرصيف، ولا يمكن أن يدخل زَورق أو يخرج دون أن يراه ... ثم سكت.

وسأل الرجل «أحمد»: هل هذا الرجل البدين له أربع أصابع فقط في يده اليسرى؟

صمت «أحمد» قليلًا، ولكنَّه قال: إنَّ الرجل كان في أغلب الوقت يضع يده اليسرى في جيب بنطلونه، وربَّما كانت يده بأربع أصابع فقط!

فقال الرجل: إنَّ رجلًا بهذه الأوصاف ربَّما يكون هو السيد «ماريو أندوليني»؛ فهو بدين وقصير ويُحِبُّ دائمًا أن يرتديَ البِدَل البيضاء.

أحمد: أين هو السيد «ماريو»؟ فنحن نريد أن نراه!

الرجل: إنَّ هذا الرجل يملك يختًا كان دائمًا يرسو بجانب اليخت «شهريار» الذي غرِق بالأمس؛ كانت هناك عَلاقة صداقة بينه وبين السيد «سيف» صاحب اليخت.

نظر «أحمد» إلى «عثمان» وقال: أعتقد أنَّ السيد «ماريو» هو رجلنا، فنحن نريد أن نقابله!

قال الرجل: للأسف؛ فقد أبحر باليخت أمس في الماء إلى جهة لا أعلمها، ولا أعلم المُدَّة التي سيغيبها.

أحسَّ «أحمد» و«عثمان» بأنَّهما وضعا أيديهما على خيط هام ... وتركا الرجل واتَّجها إلى السيَّارة، وقبل أن يُدير «عثمان» المُحرِّك عائدَين إلى المقرِّ السرِّي، وجد «عثمان» لمبةً حمراء في لوحة القيادة، فرفع «عثمان» سماعة اللاسلكي؛ كانت «إلهام» على الطرَف الآخر من الخط ... وقالت: ذهبت اليوم إلى المستشفى لأقابل الشابَّ المُصاب الذي ظهر على شاشة التليفزيون أمس، فوجدته قد طلب الخروج من المستشفى، وأن يُكمل علاجه في قرية صغيرة بالقرب من مدينة روما، فأخذت عنوانه لأذهب إليه في منزله، ولكنَّني لم أجده للأسف؛ لأنَّه لِقِيَ حتفه أمس في حادث غريب ... فقد اصطدمت السيَّارة التي أقلَّتْه من المستشفى إلى منزله بشجرة في الطريق السريع!

الصاروخ المجهول

نظر «عثمان» إلى «أحمد» وقد بدت الدهشة على وجهَيْهِما؛ فكلُّ الخيوط التي تظهر تختفي، قبل أن تدلَّهم على شيء!

سألها «أحمد»: هل الحادث يدلُّ على أيِّ شُبهة جنائيَّة؟

أجابت «إلهام»: حتى الآن لا ... فلم يكن في السيَّارة سوى الرجل، والسائق الذي أُصيب إصابةً بالغةً، ولفَظَ أنفاسه قبل أن يصل إلى المستشفى!

أحمد: حسنًا، لنتقابل في المقرِّ بعد ساعة.

أغلق «عثمان» جهاز اللاسلكي، وقال: من فترة لم نُقابل مغامرةً بهذا التعقيد!

أحمد: لعلَّ «بو عمير» و«قيس» يكونان قد توصَّلا لشيء يقودنا إلى الطريق السليم!

وانطلقت السيَّارة الحمراء بسرعة مُخلِّفةً وراءها زوبعةً في التُّراب في اتِّجاه مقرِّ الشياطين في مدينة «نابولي»، وكان مقرُّ الشياطين يقع في أحد ميادين المدينة الإيطالية، يُدعى ميدان «سان ريمون»، تتوسَّطه نافورة ضخمة في وسطها تمثال لرجلين يتصارعان.

وبعد حوالي نصف ساعة كانت السيَّارة تدخل جراج المقرِّ السرِّي، وينزل منها «عثمان» و«أحمد»، وقبل أن يُغلق «عثمان» بابه كانت سيَّارة «إلهام» تدخل إلى المقرِّ هي الأخرى.

كانت «زبيدة» — التي لم تُغادر المقرَّ — مسئولةً عن الاتصالات وإرسال التقارير إلى رقم «صفر»، موجودةً في غرفة الاتصالات تتلقَّى رسالةً من «بو عمير» ... عن النتائج التي حصل عليها اليوم عندما ذهب إلى نقطة انفجار اليخت ... قرأت «زبيدة» تقرير «بو عمير» على الشياطين، وابتسم «أحمد» لأنَّ الأمور بدأت تنكشف قليلًا، ونظر «أحمد» إلى «عثمان»

وقال: إذن فالطيَّار الذي هبط من الطائرة لم ينجُ ... فقد أكمل رحلته من السماء إلى عمق البحر!

زبيدة: سأرسل الآن تقريرًا إلى رقم «صفر» بكلِّ هذه المعلومات!

أحمد: أرجو أن يطلب من أحد عملائه متابعة المدعوِّ «ماريو أندوليني»؛ فمن المؤكَّد أنَّ أمورًا كثيرة ستتضِح إذا توصَّلنا إليه!

دخلت «زبيدة» لترسل التقرير، واتَّجه باقي الشياطين إلى غُرَفهم، واتَّفقوا على اللقاء مساءً ... بعد وصول «بو عمير»، وكذلك بعد أن يصل ردُّ رقم «صفر»؛ فقد تأتي معلومات جديدة.

ولكن لم تمضِ أكثر من ساعة، ووصل «بو عمير»، الذي اتَّجه على الفور إلى معمل التحميض والطَّبع؛ لاستخراج الصور التي التقطتها أجهزة زَورقه الحسَّاس، وفي ظلام المعمل بدأت تظهر معالم الصور بالتَّدريج ... حيث أظهَرَت أنَّه في قاع البحر شيءٌ يُشبه الغوَّاصة إلى حدٍّ ما ... فهي أعرض من الغواصات التقليدية ... كذلك يبدو أنَّها أكثر طولًا. وفي إحدى الصور التي صُوِّرَت من جانب آخر كان هناك شيء بجانب الغوَّاصة، يبدو فيها أنَّ ثمَّة بابًا يُفتح ويُغلق للدخول والخروج، وعلى بُعد — في الصور — كان هناك رجل يرتدي ملابس الغَوْص في طريقه إلى الباب.

أخذ «بو عمير» باقي الصور، واتَّجه إلى الشياطين الذين كانوا قد تجمَّعوا في الصالة، وعرضها عليهم ... كذلك أعطى لـ «أحمد» الرسمَ البيانيَّ، الذي يدلُّ على وجود ذبذبة إشعاعيَّة في المكان الذي كان فيه «بو عمير».

وعلى الفور ذهب «أحمد» إلى أحد أجهزة الكومبيوتر، وقام بتغذيته بكل المعلومات التي حصل عليها «بو عمير».

وبعد لحظات ظهرت على شاشة الكومبيوتر البيانات التي طلبها «أحمد»، وهي أنَّ هذه الصور التي التقطها «بو عمير» هي صور لأحدث أنواع المعامل الذرِّيَّة الموجودة في العالم، وهذا النوع من المعامل يمكن أن يُجرَى العمل فيه تحت الماء، ولكنَّه محظور العمل فيه إلَّا بتصاريحَ معيَّنةٍ من الدُّوَل؛ لأنَّها تُنتِج واحدًا من أحدث أنواع الأسلحة النوويَّة في العالم، وهو عبارة عن صاروخ ينطلق من تحت الماء يمكن أن يسير بمسافة مائتي كيلومتر تحت الماء في اتجاه هدف مُعيَّن ... وهذا الصاروخ يُوجَّه إلكترونيًّا عن طريق شاشات تليفزيونيَّة دقيقة جدًّا لا يُمكنها أن تُخطئ إصابة هدفها.

كانت المعلومات التي أظهرها الكومبيوتر خطيرةً جدًّا، ومفيدةً جدًّا أيضًا ... وقال «أحمد»: في يوم الرِّحلة كان اليخت يُبحِر فوق هذا المعمل، ولمَّا كان اليخت «شهريار» مزوَّدًا

بأحدث أجهزة البحث، فلم يكن هناك مفرٌّ من تحطيم هذا اليخت؛ حتى لا تلتقط أجهزته مكان المعمل وينكشف أمره، وعلى سبيل التَّضليل، نُقل حطام اليخت إلى مكان آخر حتى تضمن الجهة التي يتبعها المعمل عدم انكشاف أمره.

أوقف «أحمد» حديثه إلى الأصدقاء، والذين كانوا ينظرون إليه باهتمام بالغ ... ثم أكمل: ولست أدري ما هي الجهة التي تمتلك هذا المعمل النووي ... ولكن أعتقد أنَّها جهة قوية حتى يتوفَّر لها هذا التمويل القوي الذي يُمكِّنها من بناء هذا المعمل الحديث ... وعلى كل حال، أعتقد أنَّ رقم «صفر» سيزداد اهتمامًا بالموضوع ... فمِن مكان هذا المعمل يُمكن توجيه ضربات قويَّة للشواطئ العربيَّة على طول شاطئ البحر المتوسِّط جنوبًا!

قامت «زبيدة» إلى جهاز الإرسال، وبدأت في إرسال تقرير مُفصَّل لرقم «صفر» عن المعلومات التي حصلوا عليها، وكما توقَّع «أحمد»، فإنَّ رقم «صفر» أبدى اهتمامًا بالغًا بهذا المعمل الذرِّي؛ نظرًا لخطورته الشديدة ... كذلك وضع رقم «صفر» كلَّ المعلومات المطلوبة، ومنها أنَّ «ماريو» أو «العملاق القزم» يرسو بِيَخته الآن على شاطئ جزيرة صغيرة تُسمَّى يوفاليس، تبعد أربعمائة مِيل من ميناء نابولي.

أسرعت «زبيدة» إلى باقي الشياطين، وأطلعتهم على تقرير رقم «صفر»، وعن البيانات الخاصَّة بـ «ماريو أندوليني»؛ الجانب الوحيد الذي كان ناقصًا في حلقة بحثهم.

قال «بو عمير»: لا بُدَّ أنَّ هذه الجزيرة تُعتبر حِصنًا لـ «ماريو»، يلجأ إليه في وقت الشِّدَّة ... لذلك أعتقد أنَّ عمليَّة مهاجمة الجزيرة على جانب كبير من الخطورة، ثم ضحك وقال: الخطورة المُمتعة المُثيرة طبعًا ...

قال «أحمد»: كالعادة سننقسم إلى قسمين ... نُهاجم في وقت واحد كُلًّا من المعمل النوويِّ وجزيرة يوفاليس، وأعتقد أنَّنا يجب أن نُسرع في عمليَّة الهجوم؛ لأنَّه من الصور يبدو أنَّ المعمل لم يكتمل بعد ... لذلك سأكون أنا و«إلهام» و«عثمان» في فريق ... أمَّا الفريق الآخر سيكون من «بو عمير» و«زبيدة» و«قيس» ... وسأكون أنا من الفريق الذي سيهاجم المعمل.

وقبل أن يقف الشياطين استعدادًا للمغامرة ... أضاء جهاز الاستقبال، وأسرعت «إلهام» إليه لتتلقَّى الرسالة التي كانت في سطر واحد ... «ناقلة بترول عربيَّة دُمِّرت على بُعد مائتي كيلومتر في عُرض البحر بطريقة غريبة!»

الأحداث تتلاحق

كان على الشياطين أن يُعيدوا حساباتهم بعد رسالة رقم «صفر»، خاصَّةً بعد أن قالت «زبيدة» إنَّ هناك رسالة لاسلكيَّة من جهة مجهولة أعلنت مسئوليَّتها عن الحادث، وكذلك أعلنت أنَّها تملِك سلاحًا حديثًا نوويًّا، وأنَّ تدمير هذه الناقلة لم يكن سوى اختبارٍ عمليٍّ لهذا السلاح الحديث ...

قطع «بو عمير» الصمت الذي سادَ صالة المقرِّ للحظات، وقال: إنَّنا الجهة الوحيدة في هذا العالم التي تعلم بوجود هذا السلاح وأين يكون ... لذلك فلا يوجد هناك وقت نُضيِّعه، ولنبدأ مهمَّتنا فورًا دون انتظار لإعادة الحساب!

وقف الشياطين، وذهبوا سريعًا إلى غرفهم ليستعدُّوا للمغامرة القادمة، ولم تمضِ سوى عشر دقائق حتى بدأت كلُّ مجموعة في تنفيذ مهمَّتها ... فالفريق الأوَّل المكوَّن من «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» اتَّجهوا إلى جراج المقر، وقد ارتدى ثلاثتهم ملابس ذات لون داكن، وعلى الرَّغم من أنَّ ذراع «أحمد» كانت لا تزال مربوطةً، إلَّا أنَّه اختار لهذه المغامرة بالذات أحد مُسدَّساته الكبيرة الحجم، وضعه في حزام سِرواله، وتولَّى «عثمان» قيادة السيَّارة إلى المرسى الذي يضع فيه الشياطين قواربهم البخاريَّة السريعة، المجهَّزة خصوصًا لمغامراتهم.

وبعد ذلك بدقائق كان الفريق الثاني — ويتكوَّن من «بو عمير» و«زبيدة» و«قيس» — في طريقه إلى سطح المقر، حيث كانت إحدى طائراتهم الهليوكبتر السريعة، وفي لحظات كانت مُحرِّكات الطائرة تدور مُحدِثةً أزيزًا خافتًا ازداد شيئًا فشيئًا، حتى بدأت عجلات الطائرة تترك أرض المطار الصغير ببُطء في اتِّجاه جزيرة يوفاليس، حيث يوجد العملاق القزم «ماريو أندوليني» الذي يُدير كلَّ هذه الشبكة الإجراميَّة ببراعة واقتدار.

كانت ليلةً باردةً إلى حدٍّ ما، على عكس ليالي الصيف في إيطاليا ... فقد كانت هناك بعض النسمات الباردة تزداد شدَّتُها كلَّما أخذت الطائرة طريقها إلى عرض البحر ... وبعد حوالي ساعة من الطيران، بدأت أضواء خافتة تظهر في الظلام، وقال «بو عمير»: هذه هي أضواء جزيرة يوفاليس، فاستعِدُّوا لنبدأ المهمَّة ...

كانت الجزيرة تبدو في الظلام على شكل سمكة كبيرة، رأسها في اتِّجاه عُرْض البحر، وذيلها في اتِّجاه مدينة نابولي ... وأمام الذيل من الناحية اليسرى، كان هناك يخت يرسو وقد أُضيئت بعضُ أنوارِه، ولم يكن هناك شك في أنَّ هذا اليخت هو يخت «ماريو أندوليني».

دار «بو عمير» دورةً واسعةً فوق الجزيرة التي كان يحيط بها جدارٌ صخريٌّ صنَعَته الطبيعة ليحميَ الجزيرة من الأمواج، وكانت هناك بعض الصعوبات لكي يهبط «بو عمير» بطائرته بالقرب من هذا الحائط الصخري.

كذلك كان «بو عمير» حريصًا على ألا تلتقط أجهزة «ماريو» وجود الطائرة ... فلم يقترب من الجزيرة أكثر من اللازم، رغم أنَّ الجزيرة تزورها طائرات السُّيَّاح في أوقات مُتفرِّقة للزيارة ... ولالتقاط الصور التذكاريَّة؛ لوجود قلعة قديمة منذ أنْ حكَمَ المسلمون هذه المنطقة من البحر المتوسط.

وكانت القلعة مُضاءةً بشكل يُمكِّنُهم من التقاط صورهم التذكاريَّة من الطائرة ... وبعد خمس دقائق من التحليق فوق الجزيرة، ابتعد «بو عمير» قليلًا، وبدأ يهبِط فوق ماء البحر، ثم أوقف مُحرِّكات الطائرة وربض بها في الظلام ... وبدأ الشياطين في تجهيز أحد القوارب المطَّاطيَّة السريعة التي تنتفخ بسرعة بمُجرَّد جذب أحد الأزرار، وهبط الثلاثة في هدوء إلى القارب، وبدءوا في التجديف في اتِّجاه الجزيرة ... وقد فضَّل «بو عمير» استعمال المجاديف عن المُحرِّك حتى لا يَفْتضِح أمرهم.

وبعد ربع ساعة، توقَّف القارب قريبًا من الجدار الصخري الكبير، وقام «بو عمير» و«قيس» بإخفائه حتى يُساعدهم في عمليَّة العودة إلى الطائرة ... وبدأ الشياطين في تسلُّق هذا الجدار، الذي كان مُدَبَّبًا حادًّا جارحًا، وبصعوبة نجح الشياطين في تسلُّق السُّور، حتى وصلوا إلى إحدى طُرقات الجزيرة الموازية لشاطئ البحر.

كانت الجزيرة هادئةً، والحركة قليلةً، ونادرًا ما مرَّت سيَّارة بالشياطين الثلاثة، الذين كانوا يسيرون في اتجاه ميدان في الجزيرة، ويُسمَّى ميدان «سان دييجو» ... وكأي سائح أخرج «قيس» خريطة للجزيرة، وبدأ في وضع علامات عليها؛ حتى يتسنَّى له معرفة مكانهم على الجزيرة ... كان الميدان الرئيسيُّ يتوسَّطه تمثال أبيض لأحد آلهة الرُّومان

القدماء، وتُحيط به حديقة صغيرة مُضاءة وُضِعَت بها بعضُ الكراسي؛ لكي يجلس زُوَّار المدينة لمشاهدة معالم الجزيرة ...

وكان يتفرَّع من الميدان أربعة شوارع رئيسية، اثنان منها يتَّجِهان إلى البحر، والثالث يتَّجه إلى مزارع صغيرة تُزرع فيها العنب الأحمر، أمَّا الشارع الرابع فكان يؤدِّي إلى قلعة يوفاليس ... وفي ميدان «سان دييجو» وعلى المقاهي الصغيرة، جلس بعض سُكَّان المدينة وبعض السائحين، وأمام أحد المقاهي كانت تقف سيَّارة «كاديلاك» قديمة سوداء، وقف بجوارها رجلان يبدُوَان مُسلَّحَين، وكان منظر السيَّارة ملفتًا للأنظار في هذه الجزيرة الصغيرة، التي لا تسير فيها إلَّا العربات التي تجرُّها الخيول ...

قرَّر الشياطين التوجُّه إلى حيث تقف الكاديلاك السوداء والحارسان المُسلَّحان ... ومن بعيد سمع الشياطين صوت عزف إحدى الفِرَق الموسيقيَّة ينبعث من داخل المقهى، وكأيِّ سائح دخلوا المقهى، واختاروا إحدى الموائد، وجلسوا حولها.

كان كلُّ شيء يبدو عاديًّا، فجميع من كانوا بالداخل لا يدلُّ منظرهم على شيء، إلَّا أنَّ «زبيدة» رأت رجلًا يبدو مُسلَّحًا يقف أمام أحد الأبواب مستندًا عليه، ويُراقب الحركة في المقهى. وهمست «زبيدة» تلفت أنظار زميلَيها إلى الرجل ... وبالطبع تظاهروا بأنَّهم لا ينظرون إليه! وإن كانوا متأكِّدين أنَّ شيئًا يحدث داخل الغرفة، ولا يريد مَن فيها أن يراهم أحد.

بعد قليل جاء الجرسون بعدد من أكواب عصير العنب الذي تشتهر به الجزيرة، ولم يَطُلِ انتظار الشياطين ... فبعد دقائق فُتح الباب، وخرج رجل طويل القامة، يُغطِّي وجهه بقُبَّعة سوداء، واتَّجه إلى الشارع، وبعد دقيقة خرج رجل آخر قصير القامة يرتدي بدلةً بيضاء ... ويضع يده اليمني في جيب سُترته ... وقف هذا الرجل أمام باب الغرفة ينظر إلى الجالسين في المقهى يبحث عن شيء، وظلَّ الشياطين يتبادلون الحديث بينهم، ويتظاهرون بالاستماع إلى الموسيقى.

بعد لحظات عاد الرجل الطويل من الخارج، وحدَّث الرجل القصير حديثًا هامسًا، ثم خرجا معًا، وتلاهما الرجل المُسلَّح الذي كان يقف عند الباب، وركب الجميع السيَّارة الكاديلاك، التي انطلقت ببُطء مُحدِثةً صوتًا عاليًا وبعض الدُّخان.

لم يكن لدى الشياطين شك في أنَّ هذا الرجل القصير لم يكن سوى «ماريو أندوليني» — هدفهم المنشود! وكان من حُسن حظِّ الشياطين أنَّهم وجدوه في أول خطوات بحثهم في الجزيرة.

بعد دقائق خرج الشياطين إلى الميدان، وكانت السيَّارة السوداء تكاد تختفي في الناحية الأخرى منه، في اتِّجاه الشارع الرابع الذي كان يتَّجه إلى قلعة يوفاليس.

سار الشياطين في اتِّجاه الميدان ... حيث كانت تقف العربات التي تجرُّها الخيول، واقترب «بو عمير» من أحد السائقين، وقال له: نريد لك أن تأخذنا إلى قلعة يوفاليس!

قال الرجل: في هذه الساعة؟

قال «بو عمير»: نعم.

ومدَّ يده له بمبلغ قضى على تردُّدِ الرجل، فوافق.

في البحر والظلام

في تلك الأثناء، كان القارب يُهدِّئُ من سرعته، حينما دخل إلى الدائرة التي أوضحت الأجهزة الإلكترونية أنَّ المعمل تحت سطحها ... وبدأ «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» في ارتداء ملابس الغَوص، والتزوُّد بأنواع الأسلحة الحديثة التي أُنتِجَت مؤخَّرًا في ورشة أسلحة المقرِّ السري.

وبدأ الشياطين في القفز إلى عمق البحر في ذلك الظلام، مُستعينين ببعض الأجهزة الحسَّاسة للوصول إلى هدفهم في الظلام، وقد فضَّلَ «أحمد» العمل في الظلام؛ حتى لا ينشكفَ أمرهم.

وعلى عُمق حوالي مائة وخمسين قَدَمًا، بدأت أجهزة «أحمد» تستجيب للإشعاعات، وما كان من «أحمد» إلَّا أنْ يتبع إشارة السَّهم حتى يصل إلى هدفه ...

كان المعمل — كما صوَّرته الأجهزة الإلكترونية — يبدو كأيِّ غوَّاصة عاديَّة، إلَّا المُقدِّمة؛ فقد كان بها برجٌ ربَّما يُستعمل في إطلاق الصواريخ ...

وعلى الفور بدأ «أحمد» و«عثمان» في زرع بعض المتفجِّرات حول المعمل.

وعلى بُعد وقفت «إلهام» لتراقب ... ولكن في الظلام الدَّامس، ارتطمت قدم «عثمان» بأحد الأسلاك، فتحوَّلَ ظلام البحر إلى ساحة من النُّور ... وأطلق المعمل صَفَّارات الإنذار، وعلى الفور أسرع «أحمد» و«عثمان» إلى أحد الأعشاب المُرجانيَّة الضخمة للاختباء خلفها، وبعد لحظات فُتح أحد أبواب المعمل، وخرج منه خمسة رجال يرتدون ملابس الغَوص، ويحمل كلٌّ منهم بندقيَّة بحْريَّة تحمل الرءوس الحادَّة التي تُستعمل في صيد الأسماك الكبيرة.

انتشر الرجال الخمسة حول المعمل للبحث عن الغرباء، وعلى الفور وجد أحدهم المتفجِّرات التي كان يزرعها «أحمد» و«عثمان»، وبدأ في إفساد مفعولها، وانتظر «أحمد» حتى أصبح الرجل وحيدًا، وأسرع في خِفَّةِ سمكة القرش في اتِّجاه الرجل، إلَّا أنَّ الرجل

شعر بوجود «أحمد» خلفه فأسرع إلى بندقيَّته، إلَّا أنَّ يد «أحمد» كانت أسرع، وأصاب الرجل بطلقة من مُسدَّسِه الخاص أصابت الرجل إصابةً مباشرةً جعلته يتهاوى إلى قاع البحر المظلم، ولكنَّ «أحمد» أمسك به، وظهر اثنان من الغوَّاصين يقتربان من مكان اختباء الشياطين، وفي لَمْح البصر انقضَّ عليهما «أحمد» و«عثمان»، وقطَعَا لهما الخراطيم التي تُوصل الأكسجين، واشتبكا معهما في صراع العمق الكبير. لم يَحتَمِل الرجلان البقاء دون هواء أكثر من ثلاث دقائق … وكانت الفرصة سانحة!

وفي لحظات — ورغم الصعوبات — استبدل الشياطين الثلاثة ملابسهم بملابس الرجال الثلاثة، ثم اتَّجهوا إلى الباب الذي خرج منه الرجال الخمسة، وبعد دقائق ظهر الرجلان الآخران، فأشار لهما إشارةً معناها أنَّه لم يجد أحدًا، وبدأ الباب ينفتح تدريجيًّا، ودخل الرجلان، وتبعهما الشياطين الثلاثة في هدوء …

دخل الجميع إلى غرفة حديديَّة ضيقة، ثم أُغلق الباب مرَّةً أخرى، وبدأت المياه التي تملأ الغرفة في الانحسار بالتدريج حتى فرغت تمامًا … ثم بدأ الرجلان في خلع ملابس الغوص … أمَّا «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» فلم يتحرَّك أحدٌ منهم، فأحسَّ الرجلان أنَّ ثمَّة شيئًا ما مريبًا يحدث، وقبل أن تتحرَّك يد أحدهما إلى سلاحه، كانت طلقتان من مُسدَّس «عثمان» الكاتم للصوت قد انطلقتا …

بدأ الباب الذي يُؤدِّي إلى داخل الغوَّاصة يُفتح بالتدريج، وكان ثمَّة رجل يرتدي ملابس البحَّارة يقف عند الباب، فدخل على الفور، وشاهد زميلَيه مُمَدَّدَين على الأرض، وقبل أن يُطلق صيحة استغاثة، عاجَلَتْه «إلهام» بضربة قويَّة أفقدته الوعي، وألقت به إلى داخل الحجرة، ثم أغلقت الباب من الخارج.

بدأ الشياطين السَّير داخل المعمل، الذي كانت الحركة بداخله هادئةً إلَّا من أصوات تصدُر من بعض الأجهزة من وقت لآخر.

كان المعمل يتكوَّن من طابَقَيْن؛ الطابَق الأول تَشْغَلُه الماكينات وأجهزة التشغيل، والطابق الثاني توجد به أجهزة الضبط والتحكُّم.

خلع الشياطين ملابس الغوص الثقيلة؛ فقد كانوا في أشدِّ الحاجة إلى السرعة للبحث عن غرفة التحكُّم الرئيسيَّة، وكذلك عن الغرفة التي تُوجد بها الصواريخ.

وفي خِفَّة وهدوء، بدأ الشياطين مهمَّتهم في البحث بين الغرف المتلئة في الممرِّ الذي كانوا يسيرون فيه، وشاهَدوا بابًا ضخمًا يُؤكِّد أنَّه باب أكبر غرفة في المعمل، وقد وقف على بابها رجل مُسلَّح، كما كان مكتوبًا على بابها بعض التعليمات.

وعلى الفور شعر الشياطين أنَّهم وجدوا أول هدف لهم في المعمل؛ فتلك الغرفة بلا شك هي غرفة التحكُّم. وسمع الشياطين صوت أقدام تسير في الممرِّ في اتجاه الغرفة، فأسرع الشياطين بالاختباء في ممر ضيِّق فرعي حتى تخطَّاهم رجل في منتصف العمر، يرتدي بالطو أبيض …

وعندما وصلوا إلى الباب أبرزَ بطاقته للرجل المُسلَّح، فسمح له بالدُّخول.

وقبل أن يتحرَّك الشياطين من مكانهم، فُتح الباب الذي كانوا يختبئون بجواره، ووقف رجلٌ ينظر إليهم بدهشة، ثم بحركة سريعة حاول أن يُغلق الباب مرَّةً أخرى … ولكنَّ قَدَمَ «عثمان» كانت أسرع … وأسرع الرجل يجري ناحية أحد الأجهزة، وقبل أن تصل يده إلى ذراع الإنذار، كانت كرة «عثمان» أسرع، وأصابته في رأسه، فترنَّح الرجل وسقط …

أغلقت «إلهام» باب الغرفة من الداخل، وبدأ الشياطين في فحص أجهزة الغرفة بدِقَّة، كانت تحتوي على أجهزة قياس للإشعاع النووي، وأجهزة إرسال واستقبال، ثم شاشة رادار، وبعض الأجهزة الأخرى. وبهدوء خلع «أحمد» حزامه، وبدأ هو و«عثمان» في توزيع بعض أصابع الديناميت خلف هذه الأجهزة.

وبعد الانتهاء من هذه المهمة … بدأ «أحمد» في توقيت أجهزة التفجير وضبطها بعد ٢٠ دقيقة.

بينما اقتربت «إلهام» من الرجل المُلقَى على الأرض الذي بدأ يُفيق، وقامت برشِّ مُخدِّر قوي في أنفه، سرعان ما جعل الرجل يذهب في غيبوبة أخرى.

وبهدوء فتح «أحمد» الباب، وأطلَّ برأسه فوجد الطريق خاليًا، فخرج برأسه بسرعة، بينما «عثمان» و«إلهام» في طريقهم إلى السُّلَّم الذي يُؤدِّي إلى الطابَق الأسفل، حيث توجد غرف الماكينات …

في هذه الأثناء، كان «بو عمير» و«قيس» و«زبيدة» قد نجحوا في تسلُّق سور القلعة القديمة بمعاونة بعض أجهزتهم، وبخفَّة سار الشياطين على السُّور في طريقهم إلى داخل القلعة التي كانت تتكوَّن من حديقة واسعة، يتوسَّطها برجٌ على الجانب الأيمن … وآخَرُ على الجانب الأيسر، وبينهما مبنًى كبير مُكوَّن من عدد كبير من الغرف جميعها مظلم … عدا بعض الغرف التي كانت تنبعث منها أضواء خافتة.

وكانت السيَّارة الكاديلاك السوداء تقف أمام باب البرج الأيمن، ويقف حولها بعض الرجال المُسلَّحين، يتبادلون حديثًا خافتًا …

اقترب الشياطين بهدوء من جانب باب البرج الأيمن، وبدءوا في عملية النزول من على السُّور العالي في صمت ... نجح «بو عمير» و«قيس» في الهبوط على الحبل إلى الحديقة.

وعندما بدأت «زبيدة» في الهبوط، ظهرت في السماء إحدى طائرات الهليوكبتر التي تحمل السائحين لمشاهدة القلعة في الظلام، وتابع الحَرَسُ الطائرة بعيونهم وهي تُحلِّق فوق أبراج القلعة؛ عند ذلك انبطحت «زبيدة» حتى لا تراها عيون الحرس المُسلَّحين.

وبعد دقائق بدأت الطائرة تُغادر القلعة، فعاوَدَت «زبيدة» الوقوف، وبدأت في قذف الأسلحة التي أحضرها الشياطين من طائرتهم لتساعدهم في مهمَّتهم ... وبعد ذلك بدأت تمسك الحبل استعدادًا للهبوط، ولكنَّها — قبل أن تقذفَ بنفسها — سمعت صوت طلقة ناريَّة مرَّت بجوار أذنها اليسرى مباشرةً، تبعها صوت أحد الرجال يقول: هناك دخلاء على السُّور الشرقي!

قلعة العملاق

بدأت الطلقات تُنير الظلام حول «زبيدة»، وهي مُعلَّقةٌ في الحبل، ولم يكن أمامها إلَّا القفز من ارتفاع بعيد ... على الحشائش، وفي لحظة كانت «زبيدة» تُحلِّق في الهواء، في حركة بهلوانيَّة طالما تدرَّبَت عليها، ووصلت إلى الأرض ولم تُصَب بأذى.

إلَّا أنَّ موقف الشياطين أصبح خطيرًا ... فقد أُضيئت مصابيح قوية وُجِّهَت ناحية الشياطين لكشف مكانهم، وأُطلقت بعضُ كلاب الحراسة الشَّرِسَة لكشْف موقع الشياطين.

ولكنَّ «زبيدة» أخرجت قنبلة دُخان من نوع خاص، ما كادت الكلاب تشُمُّه حتى أخذت تدور حول نفسها، وتفقد قُدرتها على تتبُّع الأثر ...

وأسرع الشياطين بالجري ناحية الجانب الآخر للبرج، بعد أن ازدادت كثافة النِّيران الموجَّهة ناحيتهم.

وبعد أن وصل الشياطين إلى أحد الأسوار الذي كان واقيًا لهم، بدءوا في الردِّ على نيران الحَرَس بطلقات مُركَّزة قويَّة، من أسلحتهم الحديثة التي تعمل بالأشِعَّة تحت الحمراء، والتي تُمكِّنُ حاملها من مُشاهدة أيِّ شخص يسير في الظلام ...

وبعد دقائق، تحوَّل الموقف لصالح الشياطين، وبدأ رجال الحرس في التقهْقُر، بعد أن سقط معظمهم جرحى، وبدأ الدَّور على الشياطين في الهجوم.

لكن كان قلق الشياطين الأكبر يتركَّز في خوفهم من أنَّ «ماريو» يشعر بالهجوم، ويُسرع بالفرار عن طريق السيَّارة الكاديلاك، التي سُرعان ما أصابتها «زبيدة» بطلقة من مدفع صغير تحمله على كَتِفِها حوَّلتها إلى كتلة من النيران أضاءت الليل ...

والطريق الثاني كان اليخت الذي كان يربِضُ على بُعد مائتَي مترٍ فقط من مؤخِّرة القلعة، وكان تحديد مثل هذا الهدف غير المرئيِّ في الظلام أمرًا شديد الصعوبة.

ولكنَّ «بو عمير» — الذي يُعتبر من أكثر الشياطين مهارةً في استعمال الأسلحة الناريَّة — بدأ في استخدام مدفع صغير مُزوَّد بالأشِعَّة تحت الحمراء، وبشاشة تليفزيونيَّة صغيرة يستطيع بها تحديد موقع أيِّ شيء في الظلام وإصابته بدِقَّة.

وبعد لحظات، ظهرت على شاشة الجهاز نقطةٌ حمراء حدَّدَ موقعها «بو عمير»، ووضع قنبلةً في المدفع، ثم أطلق القنبلة التي أحدثت أزيزًا خافتًا، تلاها بأخرى بسرعة، وبعد لحظات جاء صوت انفجار الأولى ... تلتها الأخرى بعد لحظات، وقد أصابتا الهدف.

وفي هذه اللحظة، كان «ماريو» وبعض الرجال في طريقهم إلى اليخت؛ كفرصة أخيرة للفرار ... ولكنَّهم تراجعوا بسرعة إلى القلعة بعد أن شاهدوا اليخت كتلةً من النيران وسط البحر ...

وبدأ الشياطين في الصعود على أحد السلالم الحجريَّة القديمة المُوازية للقلعة، والتي تلفُّ على أحد أبراجها القديمة في طريقهم إلى الطابق الثاني، والذي توجد به غُرَف التحكُّم والاتصال بالمعمل.

وفي المعمل كان «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» قد نجحوا في القضاء على جميع حَرَس غرف الماكينات، وبدءوا في زرع متفجِّراتهم في المكان، ولم يكن قد بقيَ من وقت تفجير المُتفجِّرات الأولى أكثر من عشر دقائق ...

لم يعد أمامهم سوى غرفة المراقبة الرئيسية، التي تتحكَّم في المعمل وتُوجِّه الأسلحة، وهي أكثر الحجرات أهميةً، وعليها حراسة قوية ...

وقبل أن يُكمل الشياطين صعود السُّلَّم، سمعوا أجهزة الإنذار تدقُّ في المعمل كلِّه ... وانتشر في المكان عدد كبير من الحَرَس المُسلَّحين ... بدءوا في البحث عن الغرباء الذين تسلَّلُوا داخل المعمل.

وأخذ العدُّ التنازليُّ من عشرة إلى تسعة إلى ثماني دقائق ... وعلى الفور بدأ الشياطين في تنفيذ مهمَّتهم، رغم الصعوبات الجديدة التي طرأت عليها ... وبدءوا التوجُّه إلى غرفة الاتصال المركزي.

وعلى السُّلَّم ظهر رجلان من الحرس يحملان مُسدَّسات، وقد فُوجِئا بوجود الشياطين على السُّلَّم، وقبل أن يُفيقا من المفاجأة، كانت رصاصتان من مُسدَّس «إلهام» قد قامتا بمهمَّة إسكاتهما ...

وتابعَ الشياطين مسيرتهما إلى الحجرة العلوية، ولحُسن الحظِّ لم يُقابلهم أحد ... ولكن حين اقتربوا من الغرفة وجدا أمامهما أكثر من خمسة رجال مُسلَّحين، وبحركة

هادئة، أخرج «عثمان» من حقيبته قنبلةَ دخان صغيرة ألقاها على الأرض أمام الرجال، الذين بدءوا يسعلون بشدَّة قبل أن يستطيع أحدهم التخلُّص من القنبلة، وعند ذلك أصبحت مهمَّة الشياطين أسهل في الوصول إلى الغرفة ...

واقتربت «إلهام» التي تضع قِناعًا واقيًا للغازات، ورشَّت بعضًا من محلولها القويِّ في أنوفهم، جعلت الرجال يسقطون في حالة تخدير تام ...

واقترب «أحمد» و«عثمان» وفتحا الغرفة، كان بها ثلاثة رجال يعملون في جِديَّة ... لذلك لم يلحظ أيٌّ منهم دخول الشياطين إلى الغرفة.

وعندما أغلقت «إلهام» الباب خلفها ... نظر أحد الرجال ناحية الشياطين، فأسرع إلى سلاح قد وُضع على جانب المنضدة التي يجلس إليها ...

ولكنَّ مُسدَّس «أحمد» كان أسرع، فأصاب الرجل في يده ... ووقف الرجلان الآخران رافعَيْن أيديَهما ...

وبسرعة بدأ «عثمان» و«إلهام» في توزيع بقيَّة المُتفجِّرات، ولم يكن قد بقيَ من الوقت إلَّا ستُّ دقائق حتى تبدأ أول مجموعة من المتفجِّرات في الانفجار.

وبسرعة شديدة انتهى الشياطين من مهمَّتهم، وأصبح أمامهم مهمَّة الخروج من المعمل إلى زَورقهم ...

لاحظ «عثمان» أنَّ هناك بابًا في الجدار للطوارئ يُؤدِّي إلى ممر ضيق يصل إلى البحر ... وكانت هذه فرصة الشياطين الذهبيَّة في الخروج من المعمل.

وبسرعة أخرجوا أنابيب الأكسجين الاحتياطيَّة الصغيرة، وعلَّقوها على ظهورهم ... ولكنَّ الرجلين الآخرَين حاولا أن يمنعا الشياطين من فتح باب الغرفة، إلَّا أنَّ كرة «عثمان» أصابت أحدهما إصابةً جعلته يفقد الرُّشد، والثاني نال ضربةً قويَّةً من قدم «أحمد» أفقدته صوابه.

وبسرعة كبيرة وصل الشياطين إلى سطح البحر، حيث كان زَوْرقهم واقفًا في انتظارهم، وأسرع الشياطين إليه. وفي قوَّة انطلقت مُحرِّكات الزَّورق تحمله بعيدًا عن مكان المعمل، الذي لم يكن يتبقَّى على موعد انفجاره سوى ثلاث دقائق ...

في ظلام الليل الحالك، وفي الصمت الرهيب الذي لم يكسره سوى صوت قارب الشياطين، اهتزَّ سطح البحر، وكاد زَورق الشياطين أن ينقلب؛ فقد بدأت المجموعة الأولى من المتفجِّرات في الانطلاق.

ابتسم الشياطين في الظلام؛ فقد تحقَّقَ نجاح سريع وغير متوقَّع.

وفي قلعة يوفاليس، كان الشياطين قد نجحوا في حصار مجموعة «ماريو» في إحدى الحجرات ... وبعد لحظات، أيقن «ماريو» ورجاله أنَّهم هالكون لا محالة، ففضَّل أن يستسلم للشياطين على أن يلقى مصرعه. في صباح اليوم التالي، كانت أخبار القبض على الإرهابي «ماريو أندوليني» وتدمير المعمل تنتشر في جميع محطَّات الإذاعة والتليفزيون العالميَّة، وكان السؤال الذي طرحته الجرائد والمحطَّات هو: مَن الذي وراء كل هذه العمليَّة؟

وكان رقم «صفر» يقرأ ويُشاهد ردود الفعل العالمية، وهو يبتسم ... ثم طلب إرسال برقيَّة إلى الشياطين الـ «١٣»:

«العالم كلُّه يتحدَّث عن القوَّة المجهولة التي حطَّمت أسطورة «ماريو» الخرافيَّة ... وإنَّني لأشعر بالفخر؛ لأنَّني الرجل الوحيد في هذا العالم الذي يعرف الحقيقة ... لقد أمرتُ بصرف مكافأة لكم جميعًا ... أنفِقوها في إجازة مُمتِعة ...»

هنـــداوي